الخيانة في الأدب العراقي القديم

أ.م. عادل فائق رشيد
الجامعة العراقية – كلية الآداب
قسم التاريخ
Adel.faiq@gmail.com
adel_rachid@alirqia.edu.iq

Treason in Ancient Iraqi Literature

Assistant Professor Adel Faiq Rasheed
Al-Iraqia University- College of Arts
History Department

المستخلص

الخيانة هي أحدى الموضوعات التي عالجها الأدب العراقي القديم , علما أن الأدب العراقي القديم تعامل مع موضوعات أخرى من الأدب مثل قضية خلق الكون وخلق الآلهة والبشر فضلا عن الاساطير والملاحم وأدب الرثاء والسخرية , وقد سلطنا الضوء في بحثنا هذا المعنون الخيانة في الأدب العراقي القديم لدراسة هذه الظاهرة النفسية عند البشر والتي ينتج عنها حالة من إنعدام الثقة بين طرفين أو مجموعات والتي لم تقتصر على البشر فقط وأنما تعدتها الى الآلهة التي كانت لها بعض من الصفات البشرية, ومحاولة معرفة ما هي الدوافع المحفزة للخيانة, ويبدو من سياق الدراسة أن فعل الخيانة كان يحدث أحيانا بسبب الكره و البغض والحسد والرغبة والطمع في الحصول على ما لدى الغير, كما هو الحال في ملحمة ايتانا وقصة النسر الذي قام بخيانة صاحبه الأفعى وكيف أن النسر شارف على الهلاك لولا تدخل الآلهة وحصوله على فرصة جديدة للحياة بعد التوبة من العمل الطالح وقيامه بعمل صالح يكفر به عما سبق.

Abstract

Treason is one of subjects that was debated in the ancient world knowing that ancient Iraqi literature has dealt with many topics like the creation of the universe and the very existence of Gods and human, as well as the ancient literature narrated epics and legends as well lamentation and satire , The Research titled "Treason in the ancient Mesopotamian literature" is dedicated to study and observe treason as an act that was not only involved with men but included Gods as well, and the motives pushed towards treachery , it seems that treason is a based factor within the self and sometimes is triggered by hate or fueled by envy, ancient Iraqi literature dealt with this topic as an instance in Etana Epic and how the eagle betrayed his trusted friend the snake and how the eagle nearly faced death and managed to gain repent.

المقدمة:

تنوعت ضروب الأدب العراقي القديم وتعددت الموضوعات التي عالجها ذلك الأدب الذي يعد من أقدم المحاولات البشرية لتدوين الافكار والمعتقدات وجميع نواحي الأيمان الأخرى وتعامل هذا الأدب مع موضوعات أزلية منها قضية خلق الكون والآلهة وخلق الإنسان, فنرى أن الأدب قد خصص أبوابا عديدة للملاحم والأساطير كأسطورة الخليقة السومرية والبابلية وأساطير أخرى خاصة بآلهة معينة لتفسير خلق الأشياء أو الأمراض, كذلك ان إيمان الإنسان العراقي القديم وإعتقاده بأن الحضارة هي هبة إلهية مقدسة لذلك كانت منحة ومنة وفضل من الآلهة فجعل لها أسطورة عرفانا منه للآلهة والتي عرفت بـ (النواميس الالهية) فضلا عن الأساطير التي تتعلق بخلق الآلهة وولادتها, يلاحظ كذلك أن الأساطير لم تكن حكرا في شخوصها على مجمع الآلهة وأنما كان للأبطال من البشر نصيبا منها والتي بدورها لم تقتصر على الحكام الاقوياء مثل كلكامش أو ايتانا وأنما تعدتها لتصل عامة الناس على إختلاف أعمالهم كالراعي والفلاح والتي عكست بدورها طبيعة المجتمع الزراعي والإقتصادي الذي عاشته المدن آنذاك في عصر دول المدن السومرية, كما وتنوع الأدب العراقي القديم في طرح موضوعاته فنجد أدب الحكمة وما يحتويه من نصائح للحكام والناس بصورة عامة ونجد الأدب قد خلد الحوادث الكونية التي ظلَت عالقة بأذهان الناس امدا طويلا كحادثة الطوفان فضلا عن أدب النحيب والغزل والزواج المقدس والصلوات والأدعية والتراتيل ورثاء المدن وقصص وأساطير الصعود الى السماء أو النزول الى أسفل الارض وكذلك أدب السخرية والحكم والأمثال بل وحتى وصفات إعداد الطعام ,على الرغم من كل هذا التنوع الكبير والتعدد والوفرة في النتاج الأدبي لم نجد أن الاديب العراقي القديم يذكر صراحة ما يتعلق بالخيانة والغدر, حيث لم تذكر النصوص الأدبية هذا النوع من الأدب صراحة وأنما جاءت ضمنا

في سياقات القصص والأساطير ولم يتم التركيز على هذا الموضوع كقصة أساسية أو عنوانا لملحمة أو أسطورة.

الخيانة لغةً:

الخيانة نقيض الأمانة، من خانه خَوْنًا وخيانة ومَخَانة، واختانه، فهو خائن وخائنة وخؤون وخَوَّان والجمع خانة وخَوَنَةً وخُوَّان، ويقال: خُنْتُ فلانًا، وخنت أمانة فلان.[١]

الخيانة اصطلاحًا:

قال الراغب: (الخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر) (والأظهر أنها شاملة لجميع التكاليف الشرعية)

وقيل: هي (الاستبداد بما يؤتمن الإنسان عليه من الأموال والأعراض والحرم، وتملك ما يستودع، ومجاحدة مودعه وقال ابن عاشور: (وحقيقة الخيانة عمل من اؤتمن على شيء بضد ما اؤتمن لأجله، بدون علم صاحب الأمانة).[٢]

ورد مصطلح الخيانة بالعلامة المسمارية التي تقرأ **(lul)** في المصادر المسمارية وترجمت بالمعنى الاول (الخيانة) وتقابلها في اللغة الأكدية **(Sarratu)** والتي تعني الكذب أو الخداع ويتعدى معناها الى الفعل الخاطىء كما وردت بصيغة أو قراءة أخرى وهي **(nam–lul)** والتي تعني كذلك الخيانة أو الغدر.[٣]

نجد أشارات عن الخيانة والغدر بين سطور وثنايا الأدب العراقي القديم, القسم من هذه الاشارات جاءت من باب النية أو المكر السيء وحالات أخرى كانت بسبب الحسد و الغضب أو الحقد أو الانتقام والتي كانت سببا في حصول الخيانة وكأنما كان الكاتب في العراق القديم محاولاً أن يجد تفسيرا لهذا الفعل الغير محمود, وهناك الدوافع الاخرى للخيانة كانت بسبب الرغبة في الحصول على شيء ثمين وحاجة ملحة بنوايا طيبة كما

حصل في قصة نقل النواميس الالهية من مدينة أور الى مدينة الوركاء على يد الآلهة عشتار التي رغبت في جلب الرفاه والحضارة الى سكان مدينتها في الوركاء, فضلا عن الاشارات الاخرى والتي سيتم ذكرها تباعا من خلال دراستنا للأدب العراقي القديم وما تضمنته بعض الحوادث التاريخية المتعلقة بالخيانة التي ورد ذكرها في النصوص التاريخية الأدبية.

المبحث الاول

الخيانة و الغدر في الأدب العراقي القديم

خيانة الصداقة ونقض العهود (ملحمة ايتانا أنموذجا)

تتلخص هذه الملحمة والتي حملت أسم (ايتانا) ملك مدينة كيش الذي حكم بلاد سومر من بعد حادثة الطوفان التي أغرقت جميع البلاد وكان ترتيبه (الثالث عشر) من بين حكام مدينة كيش حسب ما أوردته قائمة الملوك السومرية وتصف الملحمة كيف أن ايتانا لم يرزق بخليفة له (إبن) يرثه في الحكم ذلك أن زوجته كانت عاقرا[٤] , لهذا السبب بالذات يبدأ ايتانا بالتضرع والدعاء والتوسل للإله شمش بأن يهبه نبات الخصب حتى ينجب له وريثا, تجدر الأشارة الى أن ملحمة ايتانا كان قد عثر عليها ضمن مجموعة مكتبة الملك الاشوري اشوربانيبال (٦٦٨-٦٢٧ ق.م) وكانت مدونة على رقم من الطين تعود بعض نسخها الى العصر البابلي القديم والبعض الاخر الى العصريين الآشوريين الوسيط والحديث, لا شك أن أستمرار أستنتساخ هذه الملحمة خلال تلك العصور وبصورة مستمرة هو دليل على أهميتها وشهرتها الكبيرة وأن جذورها تعود الى أزمان سبقت العصر البابلي القديم[٥] .

تبدأ الأحداث من ملحمة ايتانا – اللوح الثاني– حول شجرة الصفصاف المعروفة بالصفصاف الفراتي وأستوطنت هذه الشجرة في العراق منذ حوالي(٦٥٠٠ عام) وتصل لأرتفاع يصل لخمسة عشر مترا, يبدو أن هذه الشجرة كانت قد نمت بالقرب من المعبد المخصص للأله أدد إله البرق والرعد والمطر, نجد في أحداث الملحمة في المرحلة التي تسبق ظهور شخصية ايتانا الذي يعد البطل الرئيسي من البشر, وجود شخصيتين رئيسيتين ليستا من البشر الأولى هي الأفعى التي بنت لها جحرا عند جذور الشجرة والشخصية الرئيسية الثانية المتمثلة بالنسر الذي أقام عشه في قمة الشجرة[٦] . بعد فترة من الزمن يتعاهد كل من النسر والأفعى اللذان أقسما في حضرة الاله شمش وعقدا أتفاق صداقة بحماية عش أحدهما الآخر وحماية صغار كل منهما و أديا القسم:

" **ومن يتعدى الحدود التي وضعها الاله شمش**

عسى أن يسلمه شمش الى الجلاد لتعذيبه

عسى أن تسد الجبال مسالكها في وجهه...

عسى أن يصيبه السلاح المتربص في الصميم...

عسى الشراك التي أدى عليها قسم شمش أن تقلبه رأسا على عقب وأن تمسك به"[٧].

على هذا النحو توطدت صداقة حميمة بين النسر الذي يمثل العلو والارتفاع والتي كانت حدوده السماء وبين الأفعى التي تمثل الارتباط الوثيق بالأرض ونمت هذه العلاقة الى الحد الذي كان فيه النسر والافعى يتقاسمان فيه طعامهما وصيدهما يوميا, ويطعم كل منهما صغار الآخر:

"عندما يصطاد النسر، الثور أو الحمار الوحشي...

كان الثعبان يأتي ليأكل ثم ينصرف لتأكل صغاره

عندما يصطاد الثعبان ماعز الجبل أو غزالا

كان النسر يأتي ليأكل ثم ينصرف لتأكل صغاره"

وتستمر الصداقة متينة بين النسر والأفعى الى اليوم الذي خطط فيه النسر أكل أولاد صديقه الأفعى, وأعجب النسر بمنظر صغار الأفعى الذين نموا وكبروا (ترعرعوا) على حد تعبير النص البابلي وبدأت نفس النسر تحدثه بخيانة العهد مع صديقه الثعبان:

"عندا نما صغار الثعبان وكبروا... ضمر النسر شرا في قلبه

لقد عزم على أكل صغار صديقه وعندئذ فتح النسر فمه و قال مخاطبا صغاره:

"سوف اكل صغار الثعبان... لاشك أن الثعبان سيكون غاضبا

لكني سأصعد الى العلا وأقيم في السماء ولا أنزل من قمم الأشجار الا لأكل الثمار[٨]

.

يبدو أن نية الشر التي عقدها النسر في صدره دفعته بالنهاية خيانة صديقه الأفعى وقيامه بأكل صغاره وأن النسر أتخذ قراره بالعيش في السماء حيث لا يمكن للأفعى من الوصول إليه وأنه سينزل للأرض فقط لأكل الثمار تجنبا لغضب الثعبان وخوفا من أنتقامه, الملفت في القصة أن احد أفراخ النسر والذي تصفه الملحمة بالحكمة والذي يشير إليه النص باللغة الأكدية بلفظ (حاسيس) أي المتناهي الحكمة والذي حذر أباه من مغبة هذا الفعل وأنه سينال عقاب الاله شمش لا محالة ومحذرا إياه من الخيانة وعواقبها الوخيمة:

"أياك يا أبتي أن تأكلهم... فالشراك التي وضعها شمش سوف تقلبك رأسا على عقب وتمسك بك..

وأن من يتعدى حدود الإله شمش فأنه سيسلمه الى الجلاد ليعذبه"

ألا أن النسر لم يستمع لنصيحة أبنه وتحذيره ونزل و أكل صغار الثعبان, ولما عاد الثعبان الى جحره في المساء حاملا الطعام لصغاره, وضع اللحم عند المدخل وأخذ يفتش عن صغاره في كل مكان لكن من دون جدوى فأستبد به الحزن والمرض وأستولى عليه الحزن وراح في الصباح باكيا الى الاله شمش:

"لقد وضعت ثقتي فيك أيها البطل شمش... فأنا من جانبي كنت عونا للنسر الذي يعيش في الاغصان

عشي أختفى في حين ما زال عشه بأمان... لقد تناثر أولادي في حين ما زال أولاده بأمان

لقد نزل و أكل اولادي وأنت تعلم مقدار ما ألحق بي من ضرر... حقا يا شمش أن مصائدك واسعة كالأرض..

أن (النسر) مجرم مثل أنزو الذي ألحق الضرر بصاحبه "[٩]

هذا ويبدو أن كلمات الثعبان و تضرعه وحزنه أمام الاله شمش الذي عقد أتفاق الصداقة في حضرته قد أثارت قلب شمش الذي قرر أنزال العقاب بالنسر عقابا له على ما فعله بصغار الأفعى فأعطى أرشاداته للثعبان وبين له كيف له أن يمسك بالنسر المغرور:

"خذ الطريق و أصعد الى الجبل.. سوف تجد الثور الوحشي قد ربط لك...

أفتح جوفه وشق بطنه واتخذ منه مكانا لك... فطيور السماء على أختلافها ستنزل لتأكل من لحمه والنسر كذلك سوف ينزل ليأكل اللحم... عندها أمسك به وإكسر جناحيه ومخالبه وأنتف ريشه وألقه في الحفرة و دعه يموت من الجوع والعطش"[١٠]

بعد هذا المقطع تنتقل الملحمة في سرد الاحداث الى مشهد جديد في القصة حيث يظهر فيه الحاكم ايتانا وهو يتضرع للأله شمش:

"أيها الرب عساك أن تنطق بكلمة فتمنحني نبات النسل... أرني النسل و أزح عني العبء وهيأ لي من يرث أسمي و يخلفني...

يرد عليه شمش ويشير أليه أن يجتاز الجبل وعندا سيجد حفرة فيها نسر سجين وعلى ايتانا أن يخلص هذا النسر من سجنه وبذلك سيأخذه للمكان الذي يجد فيه نبات الخصب(١١).

يتبين مما سبق, أنه بعدما سمع ايتانا أرشادات الإله شمش، وصل الحفرة وقدم الطعام و الماء للنسر الجريح عسى أن يساعده بمبتغاه في الحصول على نبات النسل, إستمر ايتانا بمعالجة واطعام النسر لثمانية أشهر حتى خرج من الحفرة في الشهر التاسع وكأنما يشير الكاتب الى الولادة الجديدة التي حظي بها النسر بعد أنقاذه من مصيره المحتوم على يد الثعبان, لا يعلم وكأنما الامر دبر بتخطيط إلهي منذ البداية حتى يكون النسر الواسطة التي بموجبها حصل ايتانا على نبات النسل, نلاحظ في بداية القصة حيث عقدت روابط الصداقة بين النقيضين النسر والثعبان ومن ثم تبعها نقض القسم من قبل النسر – وسيلة الصعود للسماء لايتانا– ومن بعدها انتقام الثعبان من النسر و رميه في الحفرة وتركه ليموت حيث كانت وصية الاله شمش للافعى واضحة بضرورة كسر الجناحين ونتف الريش وتركه ليموت من الجوع والعطش بدل أن تقوم الأفعى بقتله مباشرة, هنا يأتي دور ايتانا الذي ساعد النسر على النهوض والقدرة على الطيران من جديد وأن النسر قام بدوره في رد الجميل وساعد ايتانا في الحصول على نبات النسل بدليل ان قوائم الملوك السومرية تذكر الملك الرابع عشر من بعد ايتانا ومن صلبه الا وهو الملك (باليح)(١٢).

أسطورة إنكي و ننخرساك (ملامح من الخيانة الزوجية)

تعكس هذه الأسطورة جانبا عن علاقة المرأة بالرجل والتي كان يقع على عاتقها عملية الولادة ومن ثم تربية الابناء ولذلك يعتقد أن المرأة مثلت أول عنصر مقدس خاصة في عصر الثورة الزراعية أذ عدت مصدرا للخصب والنماء.[١٣] يمكن أن تدرج هذه الاسطورة تحت ملمح الخيانة الزوجية , من المعروف أن الآلهة السومرية كانت تحمل الصفات البشرية وهي بالحقيقة أنعكاس للبشر في التصرفات و الاهواء فالآلهة تحب و تكره و تبغض وتدبر المكائد, تعد هذه الاسطورة من خيرة الاساطير السومرية المتبقية من آداب ذلك العصر وعرفت بأنها أسطورة الفردوس حيث تبدأ أحداثها في بلاد دلمون التي يعتقد أغلب الباحثين أنها تتمثل في بلاد البحرين الواقعة في الخليج العربي، شخوص و أبطال هذه القصة هم الآلهة متمثلة بالاله إنكي و زوجته الآلهة ننخرساك, وتبدأ القصة بتهيئة الماء العذب من قبل إنكي بناء على طلب ننخرساك وتمضي الاسطورة وتخبر بأن أتحاد إنكي بـ ننخرساك أدى الى ولادة الآلهة (ننسار) ألهة الزرع ووصفت مدة الحمل بأنها أستمرت لمدة تسعة أيام على خلاف البشر الذين تستمر مدة الحمل فيهم تسعة أشهر, بعدها يتصل إنكي بأبنته ننسار والتي تلد من بعده الآلهة ننكورا التي تحمل هي بدورها أيضا من أبيها الاله إنكي وتلد (اوتو) إلهة الزرع وهي ليست الأله المذكر أوتو–شمش, من بعدها تقوم ننخرساك بتحذير أوتو من الاتصال بأبيها وتوجه لها بعض النصائح حول كيفية تصرفها أزاء إنكي وبعد أن لم تفلح نصائح ننخرساك وأتصال أوتو بأبيها تنبت فجأة ثمانية آنواع من نباتات الأرض وقبل أن تتمكن ننخرساك من تسميتها أو تخصيص أسماء لها يأكلها إنكي فيثير ذلك غضب ننخرساك فتلعن إنكي بلعنة وتغادر وتصيب إنكي بمرض في ثماني من أجزاء جسده[١٤].

يتبين من خلال هذه الأسطورة التي تحمل غرابة بين سطورها والتي تذكر فيها صراحة العلاقة المحرمة بين الاب وابنته وأن ننخرساك التي لم تستطع أن تقف بوجه إنكي قد رمته بلعنات في جسده, ربما هذه القصة قد تركت لها صدى في الاساطير اليونانية اللاحقة مثل أسطورة ساتورن(١٥).

أسطورة نزول إينانا الى العالم السفلي (غدر إينانا لتموز)

على الرغم من أن هذه الاسطورة تتعلق برغبة أظهرتها و خططت لها و صممت على تنفيذها الإلهة إينانا (عشتار) للنزول الى العالم السفلي حيث تحكم أختها الإلهة أيرشيجال ورغبة إينانا إطلاق سراح الموتى ليعودوا ثانية للحياة, يتعلق القسم الأخير من هذه القصة بجانب الغدر الذي ألحقته إينانا بزوجها الاله تموز الذي لم يكن له يد أو تدخل بنزول إينانا الى العالم السفلي وكيف أن إينانا أشارات الى شياطين العالم السفلي بأخذ تموز دون عن غيره ليحل محلها في أرض اللاعودة, وتبدأ مجريات القصة بالابيات الشعرية التالية:

"إينانا هجرت السماء.. هجرت الارض ونزلت الى العالم السفلي

هجرت السيادة.. هجرت الملوكية و نزلت الى العالم السفلي

تزينت إينانا بالنواميس السبعة ووضعتها في يدها...

أمسكت بيدها ذراعا ومقياسا من اللازورد وعلّقت على صدرها القلائد"(١٦)

أوصت إينانا وزيرها ننشوبر قائلة له بأنها ستنزل الى العالم السفلي بمحض أرادتها وأمرته بأن يصلي عليها ويقيم النواح في الخرائب وأوصته بأنها أن لم تعد خلال ثلاثة أيام فعليه أن يذهب الى معبد الاله أنليل وإنكي وأن يبكي أمامهم وأوصته بأن يقول: { **لاتدع أبنتك الطاهرة تموت في العالم السفلي...لاتدع معدنك الثمين يغطى بالتراب**[17]}.

تستمر القصة وتفصل في كيفية نزول عشتار للعالم السفلي وكيف تم تجريدها من ملابسها عند كل باب من أبواب العالم السفلي السبعة التي عبرتها وأنها عندما وصلت عند أختها الإلهة أيرشيجال وكان عندها الآنوناكي القضاة السبعة الذين صوبوا نحوها نظرات الموت وحولوها الى جثة هامدة.

بعد أن تحولت عشتار لجثة هامدة ,وزيرها ننشوبر نفّذ تعليماتها بحذافيرها و أقام النواح في الخرائب وذهب الى الاله انليل و إنكي وقام الاخير بتزويده بخبز الحياة وماء الحياة وبعد أن نثرهما ننشوبر على جسدها عادت الى الحياة وعندما هم بأخراجها من العالم السفلي أمسك بها الآنوناكي قائلين أذا كانت إينانا تريد الخروج من العالم السفلي فعليها أن تقدم شخصا بديلا يقيم بدلا عنها, فلما خرجت إينانا اراد شياطين العالم السفلي أن يمسكوا بوزيرها ننشوبر فمنعتهم إينانا بقولها أتأخذون وزيري ذي الكلمات الطيبة) وعددت أفضاله, تمضي القصة حتى تصل الى شخص الاله تموز الذي كان جالسا عند شجرة مرتديا ثيابه ولم يكن مهتما بموت إينانا, عندها صوبت أليه إينانا نظرات الموت و نطقت ضده بالسخط وأصابها الحقد وأمتلىء قلبها بكراهية زوجها وأشارت على شياطين العالم السفلي بأخذا بدلا عنها في العالم السفلي وتروي الأسطورة كيف أن شياطين العالم السفلي قد وضعوا الطوق في رقبته والصنارات في وجهه والمخازر والابر الطويلة وأنهالوا عليه ضربا بالفؤوس الكبيرة[١٨].

قصة أدبا (نموذج لغدر الإله)

تعد قصد أدابا من القصص التي تعاملت مع موضوع عدم إستحالة خلود البشر ماديا بإسلوب يختلف عن ملاحم البحث عن الخلود كما ورد في ملحمة كلكامش على سبيل المثال, ملخص الأسطورة ان أدابا وهو البطل الرئيسي في القصة كان حكيم مدينة أريدو

حيث خلقه الأله إنكي مثالا للبشر الكامل ومنحه الحكمة والمعرفة وكان عبدا صالحا لا يتأخر عن أقامة الشعائر الدينية وتقديم القرابين للاله إنكي ولهذا كان موضع اعتماد أهل مدينة أريدو وكان صيادا ماهرا للسمك يزود معابد وأهل مدينة أريدو بالسمك يوميا, حدث في أحد الايام في أثناء صيده بسفينته أن هبت الريح الجنوبية والتي قلبت قاربه واغرقته[١٩], فأمسك أدابا بالريح الجنوبية وكسر جناحها فسكنت نتيجة لذلك الريح الجنوبية ولم تعد تهب وأضطرب نظام الكون, عندما علم كبير الآلهة آنو إله السماء بالامر أستفسر من وزيره الذي أخبره بأن الفاعل هو ادابا الذي وصف بأنه (إبن) الاله إنكي وهو الذي كسر جناحي الريح الجنوبية فأستشاط الأله آنو غضبا وأمر أن يحضر أمامه أدابا ليعاقبه على ما فعل[٢٠].

لما علم إنكي بالامر قام بتهيأة ادابا للمثول امام الاله آنو وأمره بأن يطيل شعره ويلبس ثياب الحداد وأوصاه قائلا بأنه سيأخذ طريقه في السماء وسيجد عند مدخل الاله آنو ألهين أثنين هما الأله تموز و الأله كشزيدا وسيسألانه عن سبب قدومه ولمَ هو أشعث الرأس ويلبس ثياب الحداد فأوصاه بأخبارهما إنه حزين على فقدان إلهين أختفيا من الارض حيث سيفرحان لقوله وسيشفعان له عند الأله آنو, وربما كانت الوصية الأهم التي أوصى إنكي بها ادابا هو أن لا يأكل ما يقدم له عند آنو من خبز و ماء فأن الخبز هو خبز الموت والماء هو ماء الموت أما أذا قدم لك كسوة فلا بأس من أن يرتديها واذا قدم له زيتا فلا بأس من أن يمسح به جسده[٢١].

تستمر القصة وتخبرنا بأن أدابا قد صعد الى السماء ووجد الالهين على نحو ما أخبره الأله إنكي ومثل بين يدي الاله آنو, ولما سأله آنو عن السبب الذي دعاه لكسر جناحي الريح الجنوبية أخبره بأن هذه الريح قد أغرقت زورقه الذي يصطاد فيه وحرمته من كسب عيشه وسانده في عذره الالهين تموز و كشزيدا فسكن قلب الاله آنو وقرر بدلا من

عقوبته أن يسقيه ماء الحياة ويطعمه خبز الحياة فيجعله خالدا مثل ما هو حكيم واسع المعرفة, لكن ادابا رفض تناول خبز الحياة و رفض أن يشرب ماء الحياة فتعجب آنو لأمره ولما سأله عن السبب أخبره أن الاله إنكي هو الذي أوصاه بذلك فغضب الأله آنو ولعن ادابا قائلا:

"لأنك لم تأكل من طعام الحياة ولم تشرب من ماء الحياة فلن تنال الحياة الخالدة أيها البشر الناقص المعوج"

وهكذا طرد أدبا يائسا من سماء آنو وأخفق مثل كلكامش في نيل الخلود, القصة أعلاه قد تعرضت لقدرة الاله إنكي بوصفه اله الحكمة والسؤال الذي يطرح نفسه هو هل كان إنكي يعلم بأن الأله آنو سيرق قلبه ويقدم ماء الحياة وخبزه لادبا وأنه قام بحرمان ادبا من هذه الفرصة الكبيرة في الحصول على الخلود فأن كان يعلم وهو بلا شك أله الحكمة فهذا يعتبر من باب الغدر بـ (إبنه) ادبا المخلص وأن نصيحة إنكي هي التي فوتت الفرصة على ادبا من الحصول على الخلود.[٢٢]

تحذير إنكي للبشر, الانقاذ من الطوفان (الخيانة المحمودة)

يعد الاله أنليل أله الريح الها للسماء ومملكته تقع بين مملكة أبيه آنو في السماء ومملكة والدته في الارض, يحس الناس بقوة هذا الإله أحساسا مباشرا ويمكنهم تلمس قوته حينما يمر بسرعة هائلة فوق المساحات الواسعة والمتروكة من دون أدنى حماية من البشر الذين ربما لم يكونوا يحبون أنليل لأنه إله قاسي يذهب بجهودهم أدراج الريح كما ويعد انليل المسبب الرئيسي للطوفان الكبير والذي أحبط إنكي خطته التي أعدها للقضاء على البشر بعد أن قام إنكي بأفشاء سر مجمع الآلهة للملك زيوسدرا وإلهامه ببناء السفينة[٢٣] وبسبب هذه الخيانة لم ينقطع نسل البشرية من الارض وفق الاعتقاد السومري. [٢٤].

يتبين أن الإله إنكي الذي يوصف بأنه إله محب للبشر قد حزن على أثر سماع الآلهة بقرارها إغراق البشر فعقد العزم على ايجاد طريقة ما ينقذ بها الجنس البشري من الهلاك, فتوجه الى زيوسدرا الملك المتواضع – نظير نبي الله نوح في التوراة والقرآن– ونصحه بأن ينقذ نفسه ويبني سفينة كبيرة وتمضي الاسطورة بوصف احداث الطوفان وكيف أن جميع العواصف القوية قد اجتمعت وغمر الفيضان بعنف وجه الأرض وكيف أن السفينة العظيمة التي بناها زيوسدرا كانت تتقاذفها الامواج في لجة المياه ومن بعدها كيف جاء الاله اوتو اله الشمس الذي أشرق بنوره على السماء والارض وفتح زيوسدرا نافذة في السفينة العظيمة وسجد امام الأله آنو و الأله انليل اللذان وهباه حياة خالدة تشبه حياة الآلهة(٢٥).

كذلك يروي أوتونابشتم بطل اسطورة الطوفان من خلال ملحمة كلكامش عن سر الحصول على الخلود, فيخبر اوتونابشتم عن الطريقة التي اخبره بها الاله إنكي لغرض انقاذ البشرية من الموت:

"يا كوخ القصب.. يا كوخ القصب.. اسمع يا كوخ وأفهم يا حائط..

يا رجل شروباك يا ابن اوبار–اوتو.. إهدم بيتك وابن سفينة...

أترك مالك واطلب النجاة..أترك الملك وانجو بحياتك... واحمل في السفينة بذرة كل ذي حياة..

السفينة التي ستبنيها ليكون عرضها مساويا لطولها واختمها جاعلا اياها مثل مياه الابسو"

فكانت نصيحة إنكي وتعليماته هي السبب الذي تم بموجبه انقاذ البشرية من الهلاك وبالتالي منح اوتونابشتم الخلود سوية مع زوجته.(٢٦)

غدر عشتار للأله إنكي (نقل النواميس الالهية)

تدور هذه الاسطورة حول رغبة الإلهة إينانا في الإستزادة من أسباب الرخاء والخير والتمدن في مدينتها الوركاء, لذلك كان لابد لها من الحصول على النواميس الالهية والتي كانت سببا في نشر مظاهر التطور الحضاري في المجتمع والتي كانت بحوزة الاله إنكي إله الحكمة في مدينة أريدو, على هذا النحو تفترض الاسطورة ضمنا أن هذه المدينة سبقت غيرها من المدن السومرية الاخرى في تحقيق مظاهر التمدن بسبب تلك النواميس وهي حقيقة تتفق مع المكتشفات الاثرية التي أثبتت أن مدينة أريدو كانت أول المستوطنات في سومر ومن ثم تلتها مدينة الوركاء, تبدأ الأسطورة بعقد إينانا العزم على زيارة مدينة أريدو للحصول على تلك النواميس الالهية بأية طريقة, لما علم الاله إنكي بزيارة إينانا لمدينته أمر وزيره أيسمود أن يستقبلها بمظاهر الحفاوة والرحابة والتكريم وأن يقيم مأدبة كبيرة على شرف زيارتها وتذكر الاسطورة أنه بعد وصول موكب الضيفة الى مدينة أريدو جلس إنكي و إينانا الى المائدة وبدءا بتناول الشراب وكانت إينانا تسكب مزيدا من الشراب للاله إنكي حتى بلغ به الامر السكر الشديد ففاجأ ضيفته قائلا:

"بأسم كل سلطان.. بأسم سلطاني أنا

لأقدمن النواميس الالهية لأبنتي إينانا المقدسة"[٢٧]

فبدأ بتقديم النواميس الالهية دفعة بعد أخرى حتى لم يتبقى شيء منها في حوزته, في صباح اليوم التالي بعدما زال عن إنكي أثر الخمر أدرك الخطأ الكبير الذي وقع فيه والذي أرتكبه بالامس فعمل جاهدا على منع وصول النواميس الالهية الى مدينة الوركاء فأوعز وزيره بأعتراض موكب الآلهة إينانا وارجاع النواميس الى أريدو الا ان وزير الآلهة عشتار (ننشوبر) أستطاع أن يخلصها ويأتي لنجدتها من وزير إنكي (ايسمود) ,ان ينقذها من وحوش البحر وفي نهاية المطاف وصل القارب سالما الى مدينة الوركاء

محملا بالنواميس الالهية المقدسة التي كانت كفيلة بنشر مقومات الحضارة في مدينة الوركاء[٢٨].

الغدر في أسطورة الخليقة البابلية (قتل إنكي لابسو)

أسطورة الخليقة البابلية تبدأ بالعبارة الشهيرة (حينما في العلا) أو كما تسمى في الأوساط الأدبية بملحمة (اينوما اليليش), تروي هذه الاسطورة ذات الطابع الكوني عن عملية خلق الارض والسماء وجيل الآلهة وكيف أن الحياة خلقت من إلهين زوجين إثنين والذي لم يوجد غيرهما في الكون, الأول المتمثل بالعنصر الذكري بشخص الاله (أبسو) أو المياه العذبة العميقة وكما ورد في سطور الخليقة بلفظ (خالقهم) والأم تيامة التي ولدتهم جميعا بأعتبارها العنصر المؤنث[٢٩].

تستمر الأسطورة وتذكر كيف أن الآلهة الاولى أنجبت أزواج من الآلهة من قبل أن تكون هناك سماء أو أرض فأنجبت تيامة (لخمو و لخامو) ومن بعدهم (أنشار و كيشار) هذا وأستمرت الآلهة بالتوالد بعد سنين طويلة وتوحد الاخوة الآلهة الصغار معا في عصبة واحدة وأخذ ضجيج الآلهة الصغيرة يقض مضجع الآلهة القديمة بسبب رواحهم ومجيئهم عبر المربض الالهي وعجز الأله ابسو الحد من ضجيجهم وأن أفعالهم باتت تسبب الضيق والهم لابسو, لذا قرر أبسو التخلص من الآلهة الصغيرة وعقد أجتماعا مع تيامة عاقدا العزم على التخلص من جيل الآلهة الصغيرة وقال لـ تيامة أن سلوكهم أصبح مزعجا لي فلا أجد الراحة نهارا ولا الراحة في الليل, ولسوف أدمرهم تدميرا وأضع حدا لصنيعهم وما أن سمعت تيامة بذلك أنتفضت وصرخت محتدمة بوجه زوجها وقالت " كيف ندمر ما صنعنا بأيدينا", ووصلت أصداء المخطط الذي أضمره لهم أبيهم أبسو الى الآلهة الصغيرة التي أرتعدت ووجلت من مخطط ابسو ولبثوا فزعين ألا ان الاله

إنكي الواسع المعرفة والاكثر حكمة وفطنة من بين أخوته الذي أنشىء رقية هي الاقدس والأقوى صنعة وتلاها بترتيلة وألقاها على أبسو الذي غط بسبات عميق وبعد أن أسلم ابسو نفسه للنوم قام إنكي بتجريده من كساءه ونزع عنه تاجه وأوثقه بالقيود ومن ثم ذبحه وأنشىء فوق جسد أبسو لنفسه مسكنا والذي عرف بمعبد (الاي- أبسو) أو بيت العمق في مدينة أريدو وبذلك أنقذ نفسه وأخوته من الآلهة من المخطط الذي وضعه أبسو في محاولته التخلص من جيل الآلهة الجديدة[٣٠].

خيانة طائر الانزو للأله أنليل

صورت الاساطير السومرية طائر الانزو بأنه الطير العظيم الذي يسكن الجبال ويعتاش على الصيد وهو شبيه بالكائن الاسطوري **اللابو** (الاسد الأفعى)[٣١] في هيئته كحيوان مركب, تم تصويره في الأدب والنقوش بأنه النسر برأس أسد وأن أهم ما يميز هذا المخلوق الاسطوري هو حجمه الكبير, في "ملحمة لوكال بندا" يظهر بأن الانزو كان قد بنى له عشا على شجرة بأبعاد كبيرة وأن جذور هذه الشجرة كانت تخترق الأرض حتى تصل الى النهر ذو السبعة رؤوس العائد للأله أوتو, كان الانزو يعتاش على أصطياد الثيران الكبيرة في حدود الجبال الشرقية وكان يحمل هذه الثيران حول رقبته عائدا بها الى عشه ليطعم صغاره, عندما كان الانزو يخفق بجناحيه كان يسبب الزوابع والعواصف الترابية كذلك كان صوته مدويا والذي كان يطلقه تجاه الشمس مسببا الارتعاش في الارض[٣٢].

عرفت أسطورة هذا الطائر بأسطورة سرقة ألواح القدر من قبل طائر الانزو من كبير الآلهة الأله أنليل وكيفية أستعادة هذه الألواح من قبل الإله ننورتا بعد صراع كبير, وصلت الينا هذه الاسطورة مدونة باللغة البابلية بنسختين الاولى منها تعود الى العصر البابلي القديم ويقوم فيها بدور البطل الأله ننكرسو أله مدينة لكش الذي ينازل الانزو

ويستعيد منه ألواح القدر أما النسخة الثانية فبطلها الأله ننورتا وهو أله الجو وأبن الأله أنليل[٣٣].

يبدو من خلال التركيز على الحدث الكبير المتمثل بولادة هذا الطائر العملاق تذكر الأسطورة مجيء الهة ايجيجي وأبلاغهم عن خبر ولادة الطائر على جبل (خخي) وذكرت الآلهة المزايا الكبيرة التي يتمتع بها هذا المخلوق بحيث أن الآلهة بدأت تتسائل عن سر ولادته ومن كان المسؤول عن ذلك وبضمنهم أله الحكمة إنكي مخاطبا أنليل:

" يقينا أن مياه الفيض ولدت انزو

وهي المياه المقدسة لإله العمق أبسو..

وأن الارض الواسعة حبلت به..

وأنه خلق من حجر الجبل"[٣٤]

بتعبير آخر فأن هذا المخلوق خلق من (ماء) الأله و (رحم) الأرض و (الحجر) وبسبب تلك المواصفات النادرة أشار الاله إنكي على الأله أنليل أن يأخذ هذا الطائر الانزو ويضعه في خدمته عند مدخل القاعة في المعبد, وفعل أنليل ذلك, لكن انزو كان يراقب كل حركة يقوم بها سيده أنليل, حسب ما ورد في النص:

" ووضعه أنليل عند مدخل القاعة التي تم أنجازها

كان يغتسل بالماء المقدس بحضوره..

عندئذ كان انزو يمعن النظر في شارات أنليل و رموز سلطته في تاج سيادته وثوب ألوهيته وألواح القدر التي في يديه...

أجل, كان أنزو يمعن النظر, نعم يمعن النظر في الأله..

ثم أنه عقد العزم على أغتصاب سلطة أنليل... قائلا في نفسه

سآخذ ألواح القدر الألهية وأفرض هيمنتي على الأوامر لكل الآلهة

وأمتلك العرش وأكون سيد الطقوس والشعائر

وسوف أعطي توجيهاتي لكل واحد من آلهة ايجيجي"[٣٥].

يبدو أن دافع الخيانة لدى طائر الانزو كان نتيجة الحسد والرغبة في السيطرة على الآلهة و الحصول على قدرة أعطاء الاوامر لها من خلال سرقة ألواح القدر وكذلك ان الانزو قد بيَت النية وخطط للسرقة وحاز على ألواح القدر التي تحتوي القوى السحرية الهائلة التي تمكنه من السيطرة وتقرير المصير سواء للالهة أو البشر لذلك بعدما نجح الانزو بسرقة ألواح القدر سادت حالة من الذعر والفزع مجلس الآلهة ذلك لأن وجود هذه الالواح بيد شرير مثل انزو يمكن أن ينذر أو يؤدي بالكون الى كارثة محققة.

المبحث الثاني

الخيانة السياسية

أولا- عصر دويلات المدن السومرية

نقض العهود (لجش و أوما)

في الأيام التي كان فيها (ميسالم)[٣٦] ملكاً على مدينة كيش كان يعد ملك بلاد سومر الأسمى[٣٧]، نشأ خلاف حدودي بين مدينتي (لجش) و (أوما), يبدو أن المدينتين أعترفتا بـ ميسالم كـ سيد لهما وبدأ ميسالم التحكيم في قضية الحدود بين المدينتين وأعادة ترسيمهما وفقا لما صور له على أنه وحي من الأله ساتران الأله الموكل بحل المشاكل, أقام ميسالم من بعدها مسلة كتب عليها نص لتحديد المكان ومنع النزاعات المستقبلية, ألا أن القرار الذي قبلته لجش و أوما يبدو وأنه كان لصالح مدينة لجش وعلى أية حال لم يمض وقت طويل حتى أنتهك الملك أوش[٣٨] ملك أوما شروط هذا القرار وقام أوش بأنتزاع مسلة ميسالم ليعلن عدم ألتزامه بشروطها ومن ثم عبر الحدود وأحتل أقصى شمال المنطقة العائدة الى لجش والمعروفة بأسم (جوأيدنا[٣٩]).[٤٠]

ثانيا – عصر الاحتلال الكوتي

نمخاني الملك الخائن (سلالة لجش الثانية)

كان (أور- باو) المؤسس لسلالة لجش الثانية التي حكمت خلال فترة الاحتلال الكوتي للبلاد من بعد سقوط الدولة الأكدية, خلف أور باو في الحكم كوديا و من بعده أور ننكرسو ومن بعدهم نمخاني, الذين صار كل منهم أميرا على مدينة لجش وكانت لجش معروفة بعلاقاتها التجارية الكبيرة في أستيراد الاخشاب والمعادن النفيسة خاصة في زمن أميرها كوديا والذي كانت له حملة عسكرية واحدة قام بها ضد مدينة أنشان, هذا وجاء بعد كوديا أبنه أور ننكرسو ثم حفيده أوجمي ثم أور كار الذي كان حكمه قصير

الأمد ثم من بعد ذلك الأمير نامخاني الذي ربما كان أميرا كذلك على مدينة أوما بالاضافة الى لجش, يعد الأمير نمخاني من الامراء المتعاونين مع المحتلين الكوتيين الأمر الذي أدى لنعته بـ (خائن بلاد سومر) وهو أمر يبدو مؤكدا جدا خاصة أذا ما علمنا أن نمخاني أرخ نصا من نصوصه بالأيام التي كان يحكم فيها (يارلجان ٢١٢٣-٢١١٧ ق.م)[٤١] ملك بلاد جوتي, هذا وبعد أن برز ملك الوركاء وحرر البلاد من الاحتلال الكوتي وخلفه من بعده أورنمو الذي أصبح أميرا لسلالة أور الثالثة, بدأ هذا الامير حكمه بالهجوم على (نمخاني) حاكم لجش وقتله وكان نمخاني كما يبدو بأنه تجاوز على أرض تابعة لمدينة أور بمساعدة من أسياده الكوتيين.[٤٢]

ثالثا- نهاية الأحتلال الكوتي

نهاية أوتوحيكال الغير متوقعة:

ظهر من مدينة الوركاء الحاكم أوتوحيكال الذي نجح في تطهير بلاد سومر من عبوديتها للكوتيين وتمكن من أرجاع الملوكية الى بلاد سومر بعد أن نقلها الكونيين الى الجبال وهم الذين وصفتهم النصوص السومرية بأن الكوتيين أفعى وعقرب الجبل الذين نقلوا ملوكية سومر الى الجبال, تصف النصوص بصورة واضحة الحملة العسكرية التي قام بها أورتوحيكال ضد الاقوام الكوتية الغازية وكيفية تمكنه من طردها في زمن ملكهم تريقان الذي تم أسره وجيء به مقيدا ومعصوب العينين الى أوتوحيكال الذي وطئه بقدمه وداس على رقبته أيذانا بنهاية حكم الكوتيين للبلاد, على الرغم من أنتصار أوتوحيكال الباهر الا انه لم يستمر في الحكم طويلا على بلاد سومر فهناك أشارات تشير الى أن العرش قد تم أغتصابه منه بعد حوالي سبعة سنوات من الحكم على يد أورنمو, حيث تشير أحد نصوص الفأل الى ان أوتوحيكال سقط في النهر وغرق أثناء أشرافه على عملية بناء أحد السدود.[٤٣]

رابعا- عصر سلالة أور الثالثة (٢١١٣- ٢٠٠٦ ق.م)

(خيانة أشبي ايرا لملكه ابي – سن)

كان الملك (ابي- سن) اخر ملوك سلالة أور الثالثة وحكم لمدة اربع وعشرين عاما وشهدت نهاية حكمه نهاية السلالة السومرية نفسها, المصادر التاريخية تذكر أنه كانت هناك أسبابا داخلية وأخرى خارجية عجلت وساهمت بسقوط السلالة فمن الأسباب الخارجية المعروفة كانت تتمثل في بوادر العصيان و الأنفصال في الأقاليم التابعة بلاد عيلام والذي تفاقم في نهاية الأمر الى قيام العيلاميين بغزو مدينة أور غزوا مباشر, أما علامات الانهيار الداخلية فتمثلت بفقدان سيطرة الملك على الاجزاء المختلفة من البلاد أذ أن الكثير من هذه الاجزاء توقفت عن أستخدام التقويم الخاص بالملك الذي يستخدم في تأريخ الحوادث الرسمية وأستعمل كثير منهم تقاويم خاصة والذي يعني في العرف السياسي في بلاد الرافدين ان تلك المراكز التابعة قد نبذت عنها الاعتراف بالسلطة المركزية(٤٤).

أنتهزت معظم المدن الفرصة للانفصال عن السلطة المركزية وكان في مقدمة تلك المدن مدينة أيسن التي كان يتزعمها (أشبي – أيرا الذي حكم في سنة ٢٠٢١ ق.م) الاموري الأصل والذي يرجع أصله الى مدينة ماري, تذكر الرسائل المتبادلة بين ملك أور (ابي – سن) وبين أثنين من حكامه أحدهم أشبي–ايرا، وفي نص الرسالة التي أرسلها اشبي– ايرا الى ملكه (ابي- سن) والتي تثبت بأن اشبي–ايرا كان لايزال بخدمة ملكه ونجاحه بشراء كميات كبيرة من الحبوب التي أرسله الملك ليشتريها بالفضة نظرا لشح الحبوب في العاصمة أور لكن أشبي–ايرا لم يستطع أيصالها الى العاصمة أور وساهم بتعزيز المجاعة في المدينة بسبب أن الامورين الغزاة دخلوا البلاد وتغلغلوا فيها فعمد هذا الحاكم الى خزن الحبوب في مدينة أيسن وطلب من الملك أن يرسل السفن لغرض

شحن الحبوب من أيسن كما و طلب من الملك ابي- سن أن يمنحه سلطة الحكم في مدينة أيسن ومدينة نفر مستغلا سوء الاوضاع الداخلية وضعف سلطة ابي سن, هذا ويبدو من أن اشبي ايرا كان يعمل لتحقيق مطامع شخصية ويهدف الى الاستقلال من خلال متن الرسالة التي وجهها الى ملكه ابي سن ويوضح مجرى الاحداث التاريخية كيف أن اشبي ايرا قد استقل في الواقع وان الملك السومري نفسه أقر بحقيقة تمرد اشبي ايرا(٤٥) .

خامسا- العصر البابلي القديم

خيانة حمورابي لـ زمري لم

كانت علاقة الملوك والحكام في فترة العصر البابلي القديم وهو العصر الذي تلا سقوط سلالة أور الثالثة ويبدأ بحدود ٢٠٠٠ قبل الميلاد يعتمد في أصله على مبدأ (التوازن في الضعف) والذي أكد هذا المبدأ النص الذي عثر عليه من ضمن رسائل مملكة ماري الشهيرة والذي يقول فيه أحد النصوص:

" لا يوجد هناك ملك قوي لوحده فهناك عشرة أو خمسة عشر ملكا يتبعون حمورابي ملك بابل والعدد نفسه يتبع (ريم- سن ١٧٥٨ -١٦٩٩ ق.م) ملك لارسا القوي والعدد نفسه يتبع ايال- بل ملك أشنونا والعدد نفسه يتبع اموت- بعل من قطنا والعدد نفسه يتبع يارلم- لم من مملكة يمخاذ".(٤٦)

النص هذا يعطي تصورا واضحت على القوة المتساوية بين هؤلاء الملوك وعدم وجود ملك من يتفوق على الاخر بالقوة, الأمر الذي دعى الى عقد التحالفات والعقود والمواثيق بين الملوك ليدافع أحدهم عن الاخر ضد الاعداء المحتملين, وكان من الطبيعي أن يكون زمري- لم ملك ماري من أبرز أولئك الامراء وهو الذي تعود إليه الرسالة ولعله هو المقصود بالملك المعتمد والذي أعتبرته الرسالة من له أكبر عدد من التابعين, هذا

الأمر كان يقف بوجه طموحات ملك بابل حمورابي في أقامة دولته الواسعة والسيطرة على جميع الملوك المعاصرين له, هذا وكان حمورابي نفسه على علاقة وثيقة بملك ماري (زمري- لم ١٧٧٥-١٧٦١ ق.م), هذه العلاقة الوثيقة لم تخلو من عوامل (عدم الثقة) اذ كان لملك ماري من الناحية الرسمية سفير في بابل مثلما كان لحمورابي بالمثل سفيرا له في ماري, ألا أنه كان في الوقت نفسه مخبرون لدى زمري- لم في بابل يخبرونه بأدق الأخبار التي كانت تحدث في بابل, هذا وكان لحمورابي معتمدون في بلاط ماري لأخباره عن الاحداث في منطقة أعالي بلاد الرافدين منهم (بوفاقوم و باخدي) اللذان كانا مكلفين من قبل حمورابي لأخباره بأستمرار عن زمري لم وحالة الجيش وتحركات بلاد عيلام وأعلامه عن كل ما يحدث ولابد من أنه كان هناك تبادل كثيف في الرسائل وعليه فأنه كما وجدت رسائل من بابل اثناء التنقيبات في ماري فأنه ولابد من وجود رسائل من زمري لم في بابل ربما لا تزال تحت أنقاض مدينة بابل.[٤٧]

الأساس الذي أعتمدت عليه علاقات الصداقة هو المساعدة في الوقوف ضد الهجمات أذ تشير الرسائل الى أن مملكة ماري كانت تضع قواتها العسكرية تحت تصرف ملك بابل أو أنها كانت تتوسط بتعبئة القوات من مملكة يمخاذ وكان حمورابي مسرورا جدا لمثل هذه الأخبار التي تخص مختلف الأمور العسكرية أذ تخبر أحدى الرسائل نجاح سعي زمري – لم في أرسال فرق عسكرية وصل عددها الى حوالي الثلاثين ألف رجل لمساعدة بابل ومن ناحية أخرى قدم حمورابي الى ملك ماري بين الحين والاخر قوات عسكرية لمساعدته وتأخرت هذه المساعدات أحيانا وقد أعتذر حمورابي مرة عن أرسال محاربين حيث كان من المفروض أرسال عشرة الاف محارب من مدينة بابل, يبدو أن السبب في تلكؤ حمورابي عن أرسال المحاربين هو عدم ثقته التامة بنوايا ملك ماري فضلا عن التركيز على مبدأ توازن القوى بين الممالك الامورية وأن ضعف مملكة ماري

تصب في النهاية في مصلحة بلاد بابل, فضلا عن أن حمورابي تحجج بطول الطريق الذي ستقطعه القوات للوصول الى مملكة ماري والمدة التي سيستغرقها وصول الجيش ويبدو أن المنفعة من الحلف الذي عقد بين بابل و ماري كان دائما في مصلحة حمورابي فقد كان نقل القوات من ماري الى بابل دائما أسهل من نقلها من بابل الى ماري أذ كان بأستطاعتها نقل القوات مع مجرى النهر بواسطة السفن للوصول الى بابل.(٤٨)

فضلا عن الحلف الذي عقده حمورابي مع ملك ماري توضح رسالة بعثها (الملك ريم–سن) الى حمورابي والتي جاء فيها:

(قومي مجتمعون في بلادي: لعل قومك مجتمعون في بلادك؟ أذا ما هاجمك العدو فقواتي وسفني تقدم لك العون, أما أذا هاجمني الخصم عندئذ أرجو أن تكون قواتك وسفنك متحدة مع قواتي وسفني), هذا ولم يكن حمورابي مهتما حقيقة بأقتراحات ريم سن ألا بقدر ما يبدو له ضروريا الأحتفاظ مع الحلف معه كما هو, حيث وجه حمورابي قواته الى لارسا حيث يحكم ريم – سن من بعد أنتصاره على أشنونا وتم لحمورابي الانتصار على لارسا وضمها الى مملكته الواسعة.(٤٩)

من هنا يبدو أن حمورابي كان يعتمد الاحلاف مع الممالك الاخرى حسب ما يراه في منفعة بلاد بابل وكان لا يتوانى عن الاخلال بالحلف ونقض العهود وخيانة حلفاءه لتحقيق المصلحة التي أرادها وخطط لها في ضم الممالك الامورية تباعا الى مملكته الواسعة وتكوين دولته القوية والتخلص من مبدأ التوازن في الضعف بدليل تحقيق مملكة بابل القوية التي لا ينافسها أحد السلطة على بلاد الرافدين.

سادسا– سقوط بابل و خيانة القائد غوبارو

بعد أن أمضى الملك البابلي نبونائيد عشر سنوات في واحة تيماء عاد الى مدينة بابل حدود ٥٤٦ ق.م وكانت بوادر الخطر ماثلة في الاحداث المتسارعة ولا سيما تلك التي

أستجدت في بلاد فارس بقيام الملك الفارسي الأخميني (كورش الكبير ٥٦٠-٥٢٩ ق.م) وأخذه السلطة من الميديين في عهد الملك استياجس وأستطاع هذا الملك وبسرعة كبيرة من أن يكون أمبراطورية واسعة شملت بلاد الاناضول ووصلت الى حدود الهند وكان الملك البابلي قد عقد عهدا في وقت سابق مع الملك الاخميني كورش الا ان هذا الاتفاق نقض بعد أن أستولى كورش على مدينة كيليكيا الواقعة جنوبي بلاد الاناضول في تركيا حاليا والتي كانت تابعة للملك البابلي نبونائيد, بعد أن قضى كورش على كروسس ملك ليدية في اسيا الصغرى جاء دور بابل وقد عهد الملك نبونائيد مسؤولية الدفاع عن مدينة بابل الى أبنه (بيل – شار – أوصر) وأن يتصدى لجيوش كورش عند المدينة التي قامت عندها الحرب والتي عرفت بالمصادر التاريخية بأسم معركة (أوبس) او سلوقية وقتل فيها بل شار أوصر بعدها توجه الجيش الاخميني الى مدينة سبار وكام يقود الجش البابلي فيها القائد غوبارو أو (كوبرياس في المصادر اليونانية) الذي أنحاز الى كورش الذي أستطاع دخول مدينة بابل دون مقاومة تقريبا ولم يعرف مصير نبونائيد بعدها(٥٠).

الأستنتاج

يظهر مما تقدم أن الخيانة و الغدر صفتين لهما وجود في النفس البشرية منذ الأزل وأن الباعث على تحفيز هذان الملمحان الغير محببان يكون أحيانا بسبب الكره و البغض وأحيانا يتولد هذا الشعور عن الحسد والحقد ورغبة الحصول على شيء ما من شخص اخر من دون التفكير بالعواقب المحتملة, نجد أن الأدب العراقي القديم عالج هذه المسألة كما هو واضح في أسطورة ايتانا وكيفية خيانة النسر لرفيقه الأفعى وكيف أدت هذه الخيانة الى هلاك النسر تقريبا لولا تدخل الأله شمش وبسبب تضرع الملك ايتانا وتم أنقاذ النسر الذي تعلم درسا قاسيا يحمل بين طياته ربما نوعا من أسلوب (النصيحة المبطنة) بين أسطر الأسطورة والتي تحذر من عواقب الخيانة الغير محمودة, كذلك كانت الرغبة العارمة محركا للخيانة والغدر كما هو الحال في أسطورة نقل النواميس الألهية من مدينة أريدو الى مدينة الوركاء والتي يبدو أن النية الحسنة من قبل الآلهة عشتار ورغبتها بأسعاد شعبها كانت السبب المباشر لسرقتها النواميس من الأله إنكي الذي أصيب بالصدمة لمعرفته بأنه أعطى إينانا النواميس الألهية بينما كان في حالة سكر شديدة.

كذلك أحيانا نرى أن الخيانة سببها الطمع والرغبة في الحصول على مزيد من العظمة وربما مسحة من الألوهية كما هو الحال في أسطورة الطائر الانزو (الامدكود) الذي على الرغم من كل ما أضفت عليه الآلهة من النعم أراد المزيد, فقد كان طائرا هائلا الحجم وخلق من ماء و أرض وحجر الآلهة حتى أن الآلهة نفسها هابته الا انه رغب بالمزيد وقام بسرقة ألواح القدر من الاله انليل حتى يصبح هو سيد المصائر, على الرغم من تعدد حالات الخيانة سواء من ناحية ما سطَّره الأدب العراقي القديم أو حتى في الحالات الحقيقية والتي كان للخيانة فيها الدور الأبرز كما هو الحال في الخيانة

السياسية نرى أن جميع حالات الخيانة قد أنتهت الى ما لا يحمد عقباه وكأن العقوبة هي النهاية الحتمية لفعل الخيانة.

الهوامش

١ – الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، (بيروت: ٢٠٠١), ص ٢٣٧.

٢– الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان داوودي، (دمشق: ٢٠٠٩)، ص ٣٠٥.

3 –Jeremy. Black, Andrew George, Nicholas. Postgate, A Concise Dictionary of Akkadian, (Germany:2000), p 318.

٤ – صموئيل كريمر , السومريون تاريخهم حضارتهم و خصائصهم, (ترجمة فيصل الوائلي, بيروت, ١٩٧٣), ص ٤٧٣.

٥ – فاضل عبد الواحد علي, سومر أسطورة و ملحمة,(بغداد ٢٠٠٠), ص ٢٢٩.

6 – Novotony, Jamie, Etana Epic , University of Helsinki, 2001, p 17.

٧ – فاضل عبد الواحد, مصدر سابق, ص ٢٣٠.

المصدر نفسه, ص ٨.٢٣٠

9 – Jamie R. Novotny, Etana Epic, The Standard Babylonian, (Helsinki: 2001) tablet II, p 18.

10 – Ibid, Tablet II, P 18.

١١– صموئيل هنري كوك, الاساطير في بلاد ما بين النهرين, (ترجمة يوسف داود, بغداد ١٩٦٨), ص ٥٤.

١٢– بالح أو باليح الكيشي وهو الملك السومري الرابع عشر لسلالة كيش الأولى والذي خلف الملك إيتانا صاحب الملحمة الشهيرة حسب قائمة الملوك السومريين وحكم في حوالي سنة ٢٩٠٠ ق م وجاء بعده إنمي نونا.

١٣– لمياء محمد علي، دور المرأة وحقوقها في بلاد الرافدين، مجلة مداد الآداب، مجلد ١١، عدد ٢٣, (بغداد: ٢٠٢١), ص ٢٨٣.

١٤ – صموئيل هنري كوك, مصدر سابق, ص ٢٢.

١٥- إله قديم من مجمع الآلهة الرومانية وعد ألها للزراعة والخصوبة وكان أسمه أتروسكان وكانت له شخصيته المستقلة إلا أن الرومان نسبوه الى إله الاغريق كرونوس وكانت زوجته أوبس التي هي بدورها إلهة الخصوبة والحصاد.

١٦ – فاضل عبد الواحد علي، عشتار ومأساة تموز، (دمشق:١٩٩٩), ص ٨٣.

17- وداد الجوراني, الرحلة الى الفردوس و الجحيم في أساطير العراق القديم,(بغداد- ١٩٩٨), ص ٢٠٥.

١٨ – طه باقر, مقدمة في أدب العراق القديم,(بغداد ٢٠١٠) ص ٢٩٥.

١٩- أعتاد العراقيون القدماء على تصوير الريح الجنوبية بهيئة طائر ضخم.

٢٠ – فوزي رشيد, الفكر في العراق القديم, (القاهرة, ١٩٩٥) ص ١٢٦.

٢١ – المصدر نفسه, ص١٢٧

٢٢ – المصدر نفسه ص ١٢٨.

٢٣- حاكم مدينة شروباك وورد إسمه كآخر حاكم قبل الطوفان في حدود ٢٩٠٠ ق.م.

٢٤ – هلموت أوليش, السومريون شعب في مطلع التاريخ, (ترجمة أحمد امحان, بغداد ٢٠٢١), ص ٤٧.

٢٥ – صموئيل هنري , مصدر سابق, ص ١٤٨.

٢٦ – طه باقر, مصدر سابق, ص ١٤٨.

٢٧ – طه باقر, مقدمة في أدب العراق القديم، (بيروت: ٢٠١٠), ص ١١٤.

٢٨ – فاضل عبد الواحد علي, مصدر سابق, ص ١٠٠.

٢٩ – الكسندر هايدل, أسطورة الخليقة البابلية, (ترجمة ثامر مهدي, بغداد ٢٠٠١), ص٢٢.

٣٠ – المصدر نفسه, ص ٢٥.

٣١ – الأسد – التنين هو مخلوق مركب ذكر لأول مرة في ملحمة الخليقة البابلية ويعتقد أنه خلق على يد الأله أنليل الذي رسم صورته في السماء ليمحو به البشر الذين أزعجت أصواتهم الآلهة في السماء.

32 – Lili .Wazana, Anzu and Ziz: Great Mythical Birds in ancient Near Eastern, Biblical and Rabbinic Traditions, Hebrew University of Jerusalem, P 111.

٣٣ – فاضل عبد الواحد, سومر أسطورة وملحمة,(بغداد ٢٠٠٠), ص ١٢٥.

٣٤- فاضل عبد الواحد علي، سومر إسطورة وملحمة، (بغداد:٢٠٠٠), ص ١٢٧.

٣٥ – فاضل عبد الواحد, مصدر سابق, ص١٢٨.

٣٦– ميساليم حاكم مدينة كيش حدود (٢٥٠٠ ق.م) هو أول ملوك سلالة كيش الثالثة عرف عنه توسطه في حل الخلاف ما بين دويلتي لجش و أوما.

٣٧– ربما تعود سبب هذه التسمية الى حقيقة أن الملوكية من بعد الطوفان الذي حل في بلاد سومر ورفع هبة الملوكية فأن هذه الهبة الألهية المقدسة بعدما نزلت من السماء ثانية كان مركزها في مدينة كيش (تل الاحيمر) وهذا ما يفسر أمتلاك ميسالم هذا اللقب وما يفسر كذلك رغبة ملك كيش (أجا) في ضم الوركاء لكيش للسبب نفسه.

٣٨– أوش او كما يقرأ كذلك (نن– تا) هو أمير دويلة أوما حكم بحدود ٢٤٥٠ ق.م وذكر في نصوص عديدة منها المخروط الطيني العائد لـ أنتيمينا والذي ذكر فيه أنه أنتهك الحدود التي خطها الحالكم ميساليم.

٣٩ – هو الحقل الخصب الذي كان يفصل ما بين دويلة لجش و دويلة أوما والذي كان السبب في إشعال الحرب بين الدويلتين على أثر زعم كلا الدويلتين ان الحقل عائد لها.

٤٠ – صموئيل كريمر, السومريون تاريخهم وأصلهم وحضارتهم, (بيروت – ١٩٧٣), ص٧٢.

٤١ - دياكونوف.تاريخ الشرق القديم **نشوء المجتمعات الطبقية القديمة والمواطن الأولى للحضارات العبودية**، تر. محمد العلامي، (فلسطين: ٢٠٠٣) ص ٢٧٣.

٤٢ – المصدر نفسه, ص ٩٠.

٤٤– طه باقر, مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة, (بيروت ٢٠٠٩) ص ٤٢٩.

٤٥– المصدر نفسه, ص ٤٣٢

٤٦– محمد الاعظمي، حمورابي ١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق.م، (بغداد: ١٩٩٠)، ص ٦٩.

٤٧ – هورست كلنغل, حمورابي و عصره ترجمة د.غازي شريف, (بغداد : ١٩٨٧), ص ٤٢.

٤٨ – المصدر نفسه, ص ٤٤.

٤٩ – المصدر نفسه, ص ٤٦.

٥٠ – طه باقر, مصدر سابق, ص ٦١٢.

المصادر العربية

- الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، (بيروت: ٢٠٠١).
- الكسندر هايدل, أسطورة الخليقة البابلية, (ترجمة ثامر مهدي, بغداد ٢٠٠١).
- الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان داوودي، (دمشق: ٢٠٠٩).
- دياكونوف. تاريخ الشرق القديم نشوء المجتمعات الطبقية القديمة والمواطن الأولى للحضارات العبودية، تر. محمد العلامي، (فلسطين: ٢٠٠٣).
- صموئيل كريمر, السومريون تاريخهم حضارتهم و خصائصهم, (ترجمة فيصل الوائلي, بيروت: ١٩٧٣).
- صموئيل هنري كوك, الاساطير في بلاد ما بين النهرين, (ترجمة يوسف داود, بغداد: ١٩٦٨).
- طه باقر, مقدمة في أدب العراق القديم, الجزء الأول ، (بغداد: ٢٠١٠).
- طه باقر, مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة, (بيروت: ٢٠٠٩).
- فاضل عبد الواحد علي, سومر أسطورة و ملحمة,(بغداد: ٢٠٠٠).
- فوزي رشيد, الفكر في العراق القديم, (القاهرة: ١٩٩٥).
- الكسندر هايدل, أسطورة الخليقة البابلية, (ترجمة ثامر مهدي, بغداد: ٢٠٠١).
- لمياء محمد علي، دور المرأة وحقوقها في بلاد الرافدين، مجلة مداد الآداب، مجلد ١١، عدد ٢٣, (بغداد: ٢٠٢١).
- محمد طه الاعظمي، حمورابي ١٧٩٠-١٧٥٠ ق.م، (بغداد: ١٩٩٠).
- هاري ساكز, عظمة بابل, ترجمة عامر سليمان, (الموصل:١٩٧٩).
- هلموت أوليش, السومريون شعب في مطلع التاريخ, (بغداد: ٢٠٢١).
- هورست كلنغل, حمورابي ملك بابل وعصره, ترجمة د. غازي شريف, بغداد – دار الشؤون الثقافية, ١٩٨٧.
- وداد الجوراني, الرحلة الى الفردوس و الجحيم في أساطير العراق القديم,(بغداد: ١٩٩٨).

Sources
1. Jeremy. Black, Andrew George, Nicholas. Postgate, A Concise Dictionary of Akkadian, (Germany:2000).
2.Lili Wazana, Anzu and Ziz: Great Mythical Birds in ancient Near Eastern, Biblical and Rabbinic Traditions, Hebrew University of Jerusalem
3.Novotony, Jamie, (Etana Epic) University of Helsinki, 2001.

• Al-Azhari, Muhammad bin Ahmed, Refinement of the language, (Beirut: 2001).
• Alexander Heidel, The Myth of the Babylonian Creation, (translated by Thamer Mahdi, Baghdad 2001).
• Al-Isfahani, Al-Ragheb, Vocabulary of the words of the Qur'an, edited by: Safwan Dawoodi, (Damascus: 2009).
• Diakonov. History of the Ancient East The emergence of ancient class societies and the first habitats of slave civilizations, tr. Mohammed Al-Alami, (Palestine: 2003).
• Samuel Kramer, The Sumerians: Their History, Civilization and Characteristics, (translated by Faisal Al-Waeli, Beirut: 1973).
• Samuel Henry Cook, Mythology in Mesopotamia, (translated by Yusuf Dawood, Baghdad: 1968).
• Taha Baqer, Introduction to the Ancient Literature of Iraq, Part One, (Baghdad: 2010).
• Taha Baqer, Introduction to the History of Ancient Civilizations, (Beirut: 2009).
• Fadel Abdul Wahid Ali, Sumer is a legend and an epic, (Baghdad: 2000).
• Fawzi Rashid, Thought in Ancient Iraq, (Cairo: 1995).
• Alexander Heidel, The Myth of the Babylonian Creation, (translated by Thamer Mahdi, Baghdad: 2001).
• Lamia Muhammad Ali, The Role and Rights of Women in Mesopotamia, Midad Al-Adab Magazine, Volume 11, Number 23, (Baghdad: 2021).
• Muhammad Taha al-Adhami, Hammurabi 1790-1750 BC, (Baghdad: 1990).
• Harry Sacks, The Greatness of Babylon, translated by Amer Suleiman, (Mosul: 1979).
• Helmut Ulich, The Sumerians are a people at the beginning of history, (Baghdad: 2021).

• Horst Klingle, Hammurabi, King of Babylon and his Era, translated by Dr. Ghazi Sharif, Baghdad - House of Cultural Affairs, 1987.
• Widad Al-Jourani, The Journey to Paradise and Hell in the Myths of Ancient Iraq, (Baghdad: 1998).